جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة -

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السنة الجامعية 2023-2024

د/ فهيمة عمريوي

مقياس: المؤسسة العسكرية البرية والبحرية

السنة الأولى ماستر

المحاضرة السابعة: طائفة رياس البحر ظهورها أصولها، وتنظيمها.

لعبت البحرية الجزائرية دورا مميزا في تاريخ إيالة الجزائر سواء في صد الحملات الأجنبية التي استهدفت الجزائر خلال الفترة العثمانية أو في الجانب الاقتصادي كما سيأتي ذكره. وقد أطلقت الكتابات الأجنبية المعاصرة للفترة على رياس البحر اسم Pirate أي لص البحر أو قرصان ونادرا ما تصفهم باسم رياس البحر Reis . وكلمة قرصان هي المتداولة والأقرب من حيث المعنى إلى رياس البحر فما ذلك أنه يوجد فرق بين لص البحر و Pirate فهذا الأخير هو الشخص الذي كان حرا في النهب لا تضبطه أية قوانين ولا يعترف بأي سلطة. أما القرصان أو رايس البحر فهم أشخاص مكلفين من غيرهم بهذه المهمة وفق لضوابط وقوانين فلا يمكنهم شن حرب أو الهجوم على سفينة إلا إذا كان صاحبها في حالة حرب مع الحاكم الذي ينتهي اليه القرصان. وهو ما يعطي طابع الشرعية لنشاط رياس البحر كما أن الغنائم تقتسم بطريقة منظمة.

- أصول رياس البحر:

تنوعت التركيبة البشرية لطائفة رياس البحر وتوحدت في نقطة مهمة وهي الجهاد في سبيل الله، وتكونت من العناصر المحلية والأتراك إضافة إلى أعلاج أوروبا الذين أسلموا وانظموا إلى البحرية الجزائرية، ومنهم من ينتمي إلى المشرق الإسلامي والأندلس وهو ما أكسب البحرية نفسا جديدا وقوة متجددة ومعدات متطورة.

ففي أواخر القرن 15م -أي قبيل التحاق الجزائر بالباب العالي- قاد الجهاد البحري بحارة محليون والأندلسيون والمشاركة وشكلوا بذلك العمود الفقري لسفن القرصنة وكان بعضهم من العثمانيين قد قدموا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط واستقروا في بعض مدنها نذكر منهم كمال رايس وبيري رايس هذا الأخير الذي يرجع له الفضل في مساعدة الأندلسيين وتحويلهم إلى مدن شمال إفريقيا وقد ترك كتاب هام بعنوان كتاب بحرية أهداه للسلطان سليمان القانوني سنة 1526 ويهمننا

بشكل خاص بالجزء المتعلق بالجزائر حيث تعرض فيه إلى عدة مدن ساحلية وهي المرسى الكبير وهران مستغانم برشك شرشال الجزائر الدلس التنس بجاية جيجل عنابة.

أما الأعلاج فيعود توافدهم إلى الجزائر ابتداء من القرن 16 وخلال هذه الفترة وقد جاءوا خاصة من بلدان البحر المتوسط وبشكل خاص من المدن الإيطالية أما خلال القرن السابع عشر فقد ظهرت عناصر جديدة من الأعلاج جاءوا من ألمانيا الدانمارك والفلامانك.

وقد كان رياس البحر في بداية الوجود العثماني من الأتراك وهم الأخوة عروج وخير الدين بربروسة ورفقائهم ثم انضم إليها الأعلاج، حيث شكل خير الدين مفرزة من المهتدين ضمت 600 تخص عهد إليها بالحراسة، وقد كانوا من جنسيات مختلفة من إيطاليا وكورسيكا كحسن قورصو ومن البندقية مثل حسن فوينزيانو وعلي يتشين، كما انضمت إلى طائفة الرياس عناصر أخرى من ألبانيا والبرتغال واليونان وفرنسا.

هذا وقد تمكنت العناصر المحلية والكولوغلية من الانضمام إلى طائفة الرياس فبالنسبة للعنصر المحلي نذكر الرايس حميدو الذي يعد آخر رياس البحر الجزائريين الكبار، وهو ابن خياط جزائري، بدأ نشاطه كشاب عامل بالسفينة ثم صار بحاراً، ثم رايساً ثم قبطاناً وقائداً عاماً للأسطول الجزائري من سنة 1797م إلى وفاته سنة 1815م، وفي سنة 1801م امتلك قطعة من أسطول تتكون من ثلاث فرقاطات ذات أربع وأربعين مدفعاً. وتتمثل أهم إنجازاته في استيلائه سنة 1802م على فرقاطة برتغالية متكونة من أربعة وأربعين مدفعاً وأسرف فيها 282 بحاراً وجندياً، ولما توترت العلاقات مع تونس جهز عشرة سفن ضد هذه الأخيرة سنة 1811م وقد انتهت بهزيمة البحارة التونسيين حيث قتل خلالها 230 بحاراً تونسي، مقابل 40 بحاراً جزائري، أما عن نهاية الريس حميدو فكانت سنة 1815م على يد بحارة أمريكيين... للمزيد عن نشاطه البحري.

والبعض الآخر من الرياس عرفوا بأسماء الحرف التي مارسوها قبل انخراطهم في سلك البحرية ونذكر منهم محمد الحرار والحاج أحمد الحداد. وأحياناً تذكر مناطقهم الأصلية مثل الرياس سعيد الجيجلي.

التنظيم الداخلي لطائفة رياس البحر

أما بالنسبة للتنظيم الداخلي لطائفة الرياس من حيث الرتب والمهام فهي كما يلي: أعلى رتبة هي وكيل حرج البحرية أو باب الجزيرة وهي رتبة سامية يمكن أن يكون حاملها قد تقلد رتب في الجيش البري مثلما يشير إليه عقد بيع بأشراف ناظر الموارث المخزنية الحاج خليل ابن حسين التركي إذ باع خيط من الماء خارج من الفندق مقابل لمذبحه للسيد حسن بلكباشي وكيل الحرج هو الآن باب

الجزيرة الشهيرة باب الجهاد بثمان قدره 100 دينار ذهبنا سلطانية واشترط أن لا يفرغ الماء السيل مهما إمتلئ فيرجع إلى موضعه وهكذا يستمر الماء في العين على الدوام.

وكيل حرج البحرية هو بمثابة وزير الخارجية تنحصر اختصاصاته في كونه محاسبا للعتاد الحربي ومراقبا لأشغال الترسانة خوجة مهامه في الإشراف على بناء السفن وتجهيز السفن الحربية وحل المشاكل بين الرياس والبحارة وتطرح أمامه المشاكل المتعلقة بالتجارة الخارجية والنقل البحري ويعمل تحت أوامره 12 بولكباشي يحملون مفاتيح المخازن وأيضا يولدش ينفذون أوامره وصلوا إلى سدة الحكم وكيل الحرج حسن هو الذي تولى الحكم 1791-1798

وفي الشتاء تجرد السفن من عتادها الحربي ويباشر في إصلاحها وفي الخريف يشرع في تجهيزها للخروج للبحر 289 لا يمكن للسفن الراسية في ميناء الجزائر أن تخرج بعد خروج السفن الجزائرية إلا بعد مرور 15 أو 20 يوما.

تخضع طائفة الرياس لتنظيم داخلي محكم من حيث الرتب وتوزيع المهام إذ كان على رأسها وكيل حرج الذي يعد من الوظائف الخمس السامية وتنعته الوثائق بوكيل حرج باب الجهاد ووكيل حرج البحرية، يعين في منصبه من طرف الداى. أما مهامه فتوزعت على مجالين رئيسيين الشؤون البحرية والعلاقات الخارجية فبالنسبة للمجال الأول كانت صلاحياته واسعة شملت مختلف النشاطات المتعلقة بالميناء.

وفيما يلي تعريف بالرتب البحرية.

- الرايس: وهو بمثابة الأغا.

- باش رايس " القائد الثاني "

- رايس العسة " المشرف على فرق الحراسة "

- ياكنجي

- ورديان. هو المشرف على الأعمال التي يقوم بها الخدم في الميناء

- باش دمامجي: رئيس العاملين في مؤخرة السفن.

- ياركانجي: رئيس الشراعيين.

- صاندال رايس: يشرف على تحريك المدافع

- دومامجي: " العامل في مؤخرة السفينة "

- قاره كابو.

- بريتايجي؟

- مسترداش: المسؤول عن الخطط.

- قلفاط

- عمبارجي، أمين المخزن.

- خزناجي، مكلف بمستودع البارود.

- وكيل الحرج المكلف بالمؤنة

إضافة إلى الكاتب الذي يحفظ دفتر السفينة ويتولى مهمة جرد الغنائم، كما ضمت مجموعة من الجنود الطوبجية بقيادة طوبجي باشي وأخرى من الإنكشارية بقيادة بلكباشي ويطلق عليه اسم أغا ومن أهم وظائفه مراقبة ما يجري خلال الرحلة وتسجيله تقرير يرفعه إلى الباشا عند عودة السفينة إلى الميناء وعلى أساسه يكافئ رايس السفينة أو تسقط مكانته، وعندما تصبح السفن جاهزة للخروج يقام لها احتفال كبير حيث يشارك الجميع في مأدبة من الكسكسي ولحم الخروف مرفوقة بدقات الطبول وعزف المزامير، وعندما تكون السفينة مستعدة للإبحار يرفع رئيسها علمه ويبدأ كاتبه في تسجيل أسماء المتطوعين الذين سيبحرون معه إضافة إلى أسماء طاقم السفينة.

وعموما يمكن القول أن البحرية الجزائرية عرفت تنظيما محكما من حيث التسيير والانضباط فلقد أشاد شالر بالبحارة الجزائريين واعتبر أن مقدرتهم على تجهيز الأساطيل وتسليحها للقتال لا تفوقها مقدره أي شعب آخر في العالم كما كتب الرحالة التمجروتي ما نصه ".....مرساها عامر بالسفن ورياسها موصفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيبة وأكثر عبا في قلوب العدو فبلادهم بذلك أفضل من جميع بلاد إفريقيا.